

الكلب في القرآن الكريم

obeikandi.com

الكلب في القرآن الكريم

أصحاب الكهف وكتبهم:

جاء ذكر الكلب في القرآن مرتين : مدحاً وذمماً ، وسنعرض لهاتين الموقفتين بشيء من التفصيل ، وهذا هو الموقف الأول :

اختلفوا في قوله تعالى: ﴿...وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوْلِيْتٌ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئَتْ مِنْهُمْ رُعبًا ۝۱۸﴾ (الكهف:18) أكثر أهل التفسير على أن كلب أهل الكهف كان من جنس الكلاب. وروى عن ابن جريج أنه قال: كان أسداً ويسمى الأسد كلباً لأن النبي ﷺ دعا على عتبة بن أبي لهب أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه" فأكله الأسد. وقال ابن عباس ؓ: كان كلباً أغبر.

وفي رواية عنه أحمر، واسمه قطمير. وقال مقاتل: كان أصفر. وقال القرطبي: صفرتة تضرب إلى الحمرة. وقال الكلبي: كان خلنجي اللون. وقيل: كان لونه لون السماء. وقيل: كان أبيض وأسود وأحمر. وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: اسمه ريان. وقال الأوزاعي: مشير.

وقال سعيد الحمال: حران. وقال عبد الله بن سلام: بسيط. وقال كعب الأحبار: صيهاً، وقال وهب: نقياً. وقصة الإمام مالك في ذلك مشهورة معروفة. وقال فرقة: كان رجلاً طباحاً لهم، حكاه الطبري. وقال فرقة: كان أحدهم. وكان قد قعد عند باب الغار طليعة لهم فسمي باسم الحيوان الملازم لذلك الموضع من الناس، كما سمي النجم التابع للجوزاء كلباً، لأنه منها كالكلب من الإنسان. وهذا القول يضعفه بسط الذراعين، فإنه في العرف من صفة الكلب. وحكى أبو عمرو المطرزي في كتاب اليواقيت وغيره، أن جعفر بن محمد الصادق قرأ: "وكالبيهم" فيحتمل أنه يريد هذا الرجل.

وقال خالد بن معدان: ليس في الجنة من الدواب سوى كلب أهل الكهف، وحمار العزيز، وناقاة صالح وقد تقدم في أوائل باب السنين المهملة في السبع الكلام على قوله تعالى: ﴿...سَبْعَةٌ وَثَامُنُهُمْ كَلْبُهُمْ...﴾ (الكهف:22)

ونزيد هنا أن قوله تعالى: ﴿...قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ...﴾ (الكهف: 22) أن المثبت في حق الله تعالى الأعلمية، وفي حق القليل العالمية، فلا تعارض بينهما.

قال ابن عطية المفسر: حدثني أبي أنه سمع أبا الفضل بن الجوهري، في سنة تسع وستين وأربعمائة، يقول: إن من أحب أهل الخير نال من بركتهم. كلب أحب أهل فضل وصحبهم، فذكره الله في القرآن معهم.

وأما الوصيد، فاختلف المفسرون فيه فقال ابن عباس رضي الله عنه: الوصيد فناء الكهف، وهو قول مجاهد رضي الله عنه، وقال سعيد بن جبیر: الوصيد التراب. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أيضاً. وقال السدي: الباب. وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنه، وأنشد في ذلك:

بأرض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروف في بها غير منكر

أي بابها.

وقال عطاء: الوصيد عتبة الباب. وقال العتبي: هو البناء الذي من فوقه ومن تحته، مأخوذ من قولهم أوصدت الباب وأصدته. أي أغلقته وأطبقتة " لو اطلعت عليهم " يا محمد " لوليت منهم فراراً " ، أي هرباً " ولملئت منهم رعباً " ، لما ألبسهم الله ومن الهيبة، حتى لا يصل إليهم واصل منعهم بالرعب، لئلا يراهم أحد. وقيل: إنما ذلك من وحشة المكان الذي هم فيه.

وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فممرنا بالكهف الذي فيه أصحاب أهل الكهف الذين ذكرهم الله في القرآن، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم، فقلت له: ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك، فقال تعالى: ﴿...لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ (الكهف: 18)، فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم. ثم بعث ناساً لينظروا، فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف، فذهبوا فلما دخلوا الكهف، بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم.

وذكر الثعلبي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يريه إياهم، فقال تعالى: إنك لن تراهم ولكن ابعث إليهم أربعة من كبار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم

إلى الإيمان بك فقال النبي ﷺ لجبريل: "كيف أبعث إليهم". فقال له جبريل ﷺ: أبسط كساءك واجلس على طرف من أطرافه أبا بكر، وعلى الطرف الثاني عمر، وعلى الطرف الثالث عثمان، وعلى الطرف الرابع علياً، ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان، فإن الله يأمرها أن تطيعك. ففعل ذلك ﷺ، فحملتهم الريح إلى باب الكهف فقلعوا منه حجراً، فحمل عليهم الكلب، فلما رأهم حرك رأسه ويصبص إليهم وأوماً إليهم برأسه، أن ادخلوا فدخلوا الكهف. فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد الله إلى الفتية أرواحهم، فقاموا بأجمعهم فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فقالوا: معشر الفتية، إن النبي محمد بن عبد الله ﷺ يقرأ عليكم السلام، فقالوا: وعلى محمد السلام ما دامت السموات والأرض، وعليكم بما أبلغتم، وقبلوا دينه، ثم قالوا: اقرؤوا على محمد ﷺ منا السلام، وأخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان، عند خروج المهدي، فيقال: إن المهدي يسلم عليهم، فيحييهم الله ويردون عليه السلام، ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون حتى تقوم الساعة.

ثم ردتهم الريح فقال لهم النبي ﷺ: "كيف وجدتموهم؟ فأخبروه الخبر فقال النبي ﷺ: "اللهم لا تفرق بيني وبين أصحابي وأنصاري، واغفر لمن أحبني، وأحب أهل بيتي وخاصتي".

واختلف في سبب مصيرهم إلى الكهف، فقال محمد بن إسحاق: مرح أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا، وأطفتهم الجن حتى عبدوا الأصنام، وذبحوا للطواغيت، وكانت فيهم بقايا على دين المسيح، يعبدون الله، وكان ملكهم اسمه دقيانوس، وكان قد عبد الأصنام وذبح للطواغيت، حتى نزل مدينة أصحاب الكهف، وهي أفسوس، فهرب منه أهل الإيمان، وكان حين قدمها، أمر أن يجمع له أهل الإيمان، فمن وقع به خيره بين القتل وعبادة الأصنام، فمنهم من يرغب في الحياة، ومنهم من يأبى فيقتل.

ثم أمر بأجسادهم أن تعلق على سور المدينة وعلى كل باب، فحزن هؤلاء الفتية، وأقبلوا على الصلاة والصيام والتسبيح والدعاء، وكانوا ثمانية من أشرف القوم، فعثر عليهم الملك فقال لهم: اختاروا: إما أن تعبدوا آلهتنا، وإما أن أقتلكم! فقال مكسلينا، وهو أكبرهم: إن لنا إلهاً هو ملك السموات والأرض، وهو أعظم وأجل من كل شيء، وهو المعبود، فلن ندعو من دونه إلهاً. فقال الملك: ما يمنعني أن أعجل لكم العقوبة إلا أنكم شباب، وأحب أن أجعل لكم أجلاً لعلمكم تتذكرون فيه، وتراجعون عقولكم.

فأخذوا من بيوتهم نفقة، وخرجوا إلى الكهف يعبدون الله، فأتبعهم كلب كان لهم، وقال كعب: بل مروا بكلب، فتبع بهم فطرده، فعاد فطرده مراراً، وهو يعود فقام الكلب على رجليه ورفع يديه إلى السماء، كهيئة الداعي ونطق فقال: لا تخافوا مني فإني أحب أحباء الله، فناموا حتى أحرسكم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هربوا ليلاً، وكانوا سبعة، فمروا براع معه كلب فأتبعهم على دينهم فجعلوا يعبدون الله في الكهف، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم، يقال له تملیخا، فكان يبتاع لهم طعامهم من المدينة، وكان من أجملهم وأجلدهم، وكان إذا دخل المدينة لبس ثياب المساكين، واشترى طعامهم وتجسس لهم الأخبار، فلبثوا كذلك زماناً، ثم أخبرهم تملیخا أن الملك يتطلبهم، ففرزوا لذلك وحزنوا، فبينما هم كذلك عند غروب الشمس، يتحدثون ويتدارسون، إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف، وكلبهم بأسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابه ما أصابهم، فسمع الملك أنهم في جبل فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم، حتى يموتوا جوعاً وعطشاً وهو يظنهم أيقاظاً، أراد الله بذلك أن يكرمهم، وأن يجعلهم آية لخلقه.

وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم، والملائكة تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، ثم عمد رجلان مؤمنان كانا في بيت الملك، فكتبا شأن الفتية وأسماءهم وأنسابهم، في لوح من رصاص، وجعلاه في تابوت من نحاس، وجعلاه في البنيان.

وقال عبيد بن عمير: كان أصحاب الكهف فتية مطوقين مصورين ذوي ذوائب، وكان معهم كلب صيد فخرجوا في عيد لهم وأخرجوا آلهتهم التي كانوا يعبدونها فخذف الله في قلوبهم الإيمان، وكان أحدهم وزير الملك، فأمنوا وأخفى كل واحد منهم إيمانه عن صاحبه، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة، ثم خرج آخر فرآه فظن أن يكون على مثل أمره، وجاء من غير أن يظهر له ذلك، ثم خرج الآخرون واحداً بعد واحد حتى اجتمعوا تحت الشجرة. فقال بعضهم لبعض: ما جمعكم هاهنا؟ ثم قالوا: ليخرج كل فتية فيخلوا ثم يفش كل واحد منهما أمره إلى صاحبه، فخرج فتية فذكر كل واحد منهما لصاحبه أمره، فأقبلوا مستبشرين قد اتفقا على أمر واحد، ثم فعلوا جميعاً كذلك فإذا هم جميعاً على الإيمان. فقال بعضهم لبعض: اتوا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته، ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً، فدخلوا الكهف ومعهم كلبهم،

فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، فلما لم يجدوهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم، في شهر كذا في سنة كذا، في مملكة فلان بن فلان. ووضعوا اللوح في خزانة الملك، وقالوا: ليكون لهذا شأن.

وقال السدي: لما خرجوا، مروا براح معه كلب، فقال الراعي: إني أتبعكم على أن أعبد الله معكم، قالوا: سر فصار معهم، وتبعهم الكلب فقالوا: يا راعي هذا الكلب ينبح علينا، وينبه بنا فما لنا به من حاجة. فطردوه فأبى إلا أن يلحق بهم، فرجموه فرقع يديه كالداعي، وأنطقه الله تعالى فقال: يا قوم لم تطردوني لم تضربوني لم ترجموني؟ فوالله لقد عرفت الله قبل أن تعرفوه بأربعين سنة فتعجبوا من ذلك وزادهم الله بذلك هدى.

وقال محمد الباقر: كان أصحاب الكهف صياقلة، واسم الكهف حيوم، والقصة طويلة مشهورة في كتاب التفسير والقصص مطولاً ومختصراً، وقد وقفت على جمل من ذلك. فمن ذلك ما ساقه الإمام أبو إسحاق محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي، في كتابه الكشف والبيان في تفسير القرآن، وربما يتكرر شيء مما تقدم، فيما آتى به. قال: قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (الكهف: 9) يعني ليسوا من أعجب آياتنا، فإن فيم خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم. والكهف هو الغار في الجبل.

واختلفوا في الرقيم، فقال وهب: حدثني النعمان بن بشير الأنصاري أنه سمع رسول الله ﷺ يذكر الرقيم، قال: إن ثلاثة نفر خرجوا مرتادين لأهلهم، فبينما هم يمشون إذ أصابتهم السماء، فأووا إلى كهف، فانحطت صخرة من الجبل، فانطبقت على باب الكهف، فأوحد عليهم، فقال قائل منهم: اذكروا أيكم عمل عملاً حسناً، لعل الله برحمته أن يرحمنا، فقال رجل منهم: إني قد عملت حسنة مرة، كان لي أجراء يعملون عملاً لي، استأجرت كل رجل منهم في نهاره بأجرة معلومة، فجاءني رجل منهم ذات يوم وسط النهار، فاستأجرته بشطر أجرة أصحابه، فعمل في بقية نهاره كما عمل رجل منهم في نهاره كله، فرأيت علي من الذمام، أن لا أنقصه عما استأجرت من أصحابه، لما رأيت من جهده في عمله.

فقال رجل منهم: أتعطي هذا مثل ما أعطيتني ولم يعمل إلا وسط النهار؟ فقلت: يا عبد الله لم أبخسك شيئاً من شرطك، وإنما هو مالي أحكم فيه بما

شئت. فغضب وترك أجره فوضعت حقه في جانب من البيت ما شاء الله، ثم مرت بي بعد ذلك بقر فاشترت له بها فصيلة من البقر، فبلغت ما شاء الله، فمربي بعد حين رجل شيخ كبير لا أعرفه، فقال لي: إن لي عندك حقاً فذكرنيه حتى عرفته، قلت له: إياك أبغي، وهذا حقك وعرضتها عليه جميعاً، فقال: يا عبد الله لا تسخر بي إن لم تصدق علي فأعطني حقي! قلت: والله ما أسخر بك إنها لحقك، مالي فيها لشيء فدفعتها إليه جميعاً. اللهم إن كنت تعلم أنني فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا الحجر، فانصدع الحجر ففرج حتى رأوا وأبصروا.

وقال الآخر: قد عملت حسنة مرة، كان لي فضل، وأصابني الناس شدة، فجاءتني امرأة تطلب مني معروفاً، فقلت لها: والله ما هو دون نفسك، فأبى علي وذهبت، ثم رجعت فذكرتني بالله ﷻ، والله مطلع عليها فأبى عليها وقلت لها: والله ما هو دون نفسك، فأبى علي وذهبت، وذكرت لزوجها فقال لها: أعطيه نفسك وأغيثي عيالك! فرجعت إلي وأنشدتني بالله، فأبى عليها وقلت لها: والله ما هو دون نفسك! فلما رأت ذلك، أسلمت إلي نفسها، فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتي، فقلت لها: ما شأنك؟ فقالت: إني أخاف الله رب العالمين! فقلت لها: خفته في الشدة ولم أخفه في الرخاء! وتركتها وأعطيتها ما يحق علي بما كشفتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا الحجر فانصدع حتى عرفوا وتبين لهم.

وقال الآخر: قد عملت حسنة مرة، كان لي أبوان شيخان كبيران، وكان لي غنم فكنت أطعم والداي وأسقيهما، ثم أرجع إلى غنمي، فأصابني يوماً غيث، فحبسني حتى أمسيت، فأتيت أهلي وأخذت محلبي، فحلبت غنمي وتركتها قائمة، ومضيت إلى أبواي، فوجدتهما قد ناما، فشق علي أن أوقظهما، وشق علي أن أترك غنمي، فما برحت جالساً ومحلبي على يدي، حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا. قال النعمان بن بشير: لكأني أسمع من رسول الله ﷺ يقول: " قال الجبل طاق طاق ففرج الله عنهم فخرجوا ".

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الرقيم واد بين عمان وأيلة دون فلسطين، وهو الوادي الذي فيه أصحاب الكهف.

وقال كعب: هي قريتهم وهو على هذا التأويل من رقمة الوادي، وهو موضع الماء منه، تقول العرب: عليك بالرقمة ودع الضفة. والضفتان جانبا الوادي.

وقال سعيد بن جبير: الرقيم لوح من حجارة. وقيل: من رصاص كتبوا فيه أسماء أهل الكهف، وهو على هذا التأويل بمعنى المرقوم أي الكتاب المرقوم. والرقم الخط والعلامة والرقم الكتابة. ثم ذكر صفتهم فقال تعالى: ﴿إِذْ أَوْىٰ أَلْفَيْتُهُ إِلَىٰ أَلْكَهْفِ...﴾ (الكهف:10) أي رجعوا وصاروا إليه.

واختلفوا في سبب مصيرهم إلى الكهف، فقال محمد بن إسحاق: مرح أهل الإنجيل وكثرت الخطايا فيهم، وعظمت الذنوب وطغت فيهم الملوك، حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام، متمسكين بعبادة الله وتوحيده.

فكان ممن فعل ذلك ملك من ملوكهم من الروم، يقال له دقيانوس، كان قد عبد الأصنام وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين المسيح، وكان ينزل قرى الروم فكان لا يترك فيها أحداً مؤمناً إلا فتنه، حتى يعبد الأصنام ويذبح للطواغيت، حتى نزل مدينة أصحاب الكهف، وهي أفسوس، فلما نزلها كبر ذلك على أهل الإيمان فاستخفوا منه، وهربوا في كل وجه.

وكان دقيانوس قد أمر حين قدمها أن يتتبع أهل الإيمان في أماكنهم، فيجمعوا له واتخذ شرطة من الكفار، من أهلها فجعلوا يتتبعون أهل الإيمان، في أماكنهم فيخرجونهم إلى دقيانوس، فيقدمهم إلى الجامع الذي يذبح فيه للطواغيت، فيخيرهم بين القتل وعبادة الأصنام والذبح للطواغيت، فمنهم من يرغب في الحياة، ومنهم من ياب أن يعبد غير الله تعالى فيقتل.

فلما رأى أهل ذلك البلد الشدة في الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل، فيقطعون ويعلق ما قطع من أجسادهم على سور المدينة ونواحيها كلها، وعلى كل باب من أبواب، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان منهم، من أقر فترك، ومنهم من صلب على دينه فقتل.

فلما رأى ذلك الفتية، حزنوا حزناً شديداً فصلوا وصاموا واشتغلوا بالتسبيح والدعاء لله تعالى، وكانوا من أشرف الروم، وكانوا ثمانية ففرقوا،

وتضرعوا، وجعلوا يقولون: " ربنا رب السموات والأرض، لن ندعو من دونه إلهاً، لقد قلنا إذا شططاً "، اللهم اكشف عن عبادك المؤمنين، هذه الفتنة وادفع البلاء والغم عن عبادك، الذين آمنوا بك، حتى يعلنوا عبادتهم إياك، فبينما هم علي ذلك إذا أدركهم الشرطة، وكانوا قد دخلوا في مصلى لهم، فوجدوهم سجداً على وجوههم يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى، ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنته.

فلما رأهم أولئك الكفرة، قالوا لهم: ما خلفكم عن أمر الملك؟ انطلقوا إليه. ثم خرجوا من عندهم فرفعوا أمرهم إلى دقيانوس، فقالوا: نجمع الجميع وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يسخرون بك ويعصون أمرك! فلما سمع ذلك منهم أتى بهم وأعينهم تفيض من الدمع، معفرة وجوههم في التراب، فقال لهم: ما منعكم أن تشهدوا الذبح للآلهة التي تعبد في الأرض، وأن تجعلوا أنفسكم كغيركم؟ فاختاروا إما أن تذبحوا لآلهتنا كما يذبح الناس، وإما أن أقتلكم؟ فقال مكسلمينا، وكان أكبرهم: إن لنا إلهاً ملأت السموات والأرض عظمته " لن ندعو من دونه إلهاً، لقد قلنا إذا شططاً " ولن نقر بهذا الذي تدعو إليه أبداً، ولكننا نعبد الله ربنا، له الحمد والشكر والتسبيح من أنفسنا خالصاً أبداً، إياه نعبد وإياه نسأل النجاة والخير، فأما الطواغيت وعبادتها فلن نعبدها أبداً، اصنع ما بدا لك.

ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال له، فلما قالوا ذلك أمر فترع منهم الملبوس الذي كان عليهم من لبوس عظمائهم، وقال: إن فعلتم ما فعلتم فإني سأؤخركم وأفرض لكم وأنجزكم ما وعدتكم من العقوبة، وما يمنعني أن أعجل ذلك لكم إلا أنني أراكم شباباً حديثاً أسنانكم، فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلاً، تتذاكرون فيه وتراجعون عقولكم، ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم، ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس إلى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها قريبة منهم، لبعض أموره فلما علم الفتية أن دقيانوس خرج من مدينتهم، بادروا قدومه وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فائتمروا بينهم، أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها، ثم يتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة، في جبل يقال له منحلوس، فيمكثون فيه ويعبدون الله تعالى، حتى إذا جاء دقيانوس، أتوه فقاموا بين يديه، فيصنع بهم ما شاء. فلما قال ذلك بعضهم

لبعض، عمد كل فتى منهم إلى بيت أبيه، فأخذ نفقة فتصدقوا منها، وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم، واتبعهم كلب كان لهم. حتى أتوا ذلك الكهف في الجبل فلبثوا فيه.

وقال كعب الأحبار: مروا بكلب فنبج عليهم فطردوه، فعاد ففعلوا ذلك مراراً، فقال لهم الكلب: ما تريدون مني؟ لا تخشوا جانبي فأنا أحب أحباب الله. فناموا حتى أحرسكم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هربوا ليلاً من دقيانوس بن حلانوس حين دعاهم إلى عبادة الأصنام، وكانوا سبعة فمروا براح معه كلب، فاتبعهم على دينهم، فخرجوا من البلد فأووا إلى الكهف وهو قريب من البلدة، فلبثوا فيه، ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد، ابتغاء وجه الله، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم، يقال له تملیخا، فكان على طعامهم يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سراً، وكان من أجملهم وأجلدهم، فكان تملیخا يصنع ذلك، فإذا دخل المدينة يضع ثياباً كانت عليه حسناً، ويلبس كتياب المساكين، الذين يطعمون فيها، ثم يأخذ ورقة ثم ينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاماً وشراباً، ويسمع ويتجسس لهم الخبر، هل ذكر أصحابه بشيء أم لا ثم يرجع إلى أصحابه.

فلبثوا كذلك ما لبثوا، ثم قدم دقيانوس الجبار المدينة فأمر العظماء، فذبخوا للطواغيت، ففزع لذلك أهل الإيمان، وكان تملیخا بالمدينة يشتري لأصحابه الطعام والشراب، فرجع لأصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل، فأخبرهم أن الجبار دقيانوس قد دخل المدينة، وأنهم قد ذكروا مع عظماء المدينة، ليذبخوا الطواغيت، فلما أخبرهم فزعوا ووقعوا سجداً يدعون الله تعالى، ويتضرعون إليه، ويتعوذون به من الفتنة، ثم إن تملیخا قال لهم: يا أخوتاه ارفعوا رؤوسكم وأطعموا من رزق الله، وتوكلوا عليه، فرفعوا رؤوسهم وأعينهم تفيض من الدمع، حزناً وخوفاً على أنفسهم، فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون، ويذكر بعضهم بعضاً، فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابه ما أصابهم، وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤوسهم.

فلما كان الغد تفقدتهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم، فقال لبعض أصحابه: قد ساءني هؤلاء الفتية الذين ذهبوا، لقد كانوا ظنوا بي غضباً عليهم

لجهلهم ما جهلوا من أمري، وما كنت لأجهل عليهم، ولا على واحد منهم إن تابوا وعبدوا إلهي.

فقال له عظماء المدينة: ما أنت بحقيق أن ترحم قوماً فجرة مردة عصاة، مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم، قد كنت أجلتهم أجلا، ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل، ولكنهم لم يتوبوا. فلما قالوا له ذلك: غضب غضباً شديداً، ثم أرسل إلى آبائهم فسأل عنهم؟ ثم قال: أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني؟ فقالوا له: أما نحن فلن نعصيك، فلم تقتلنا بقوم مردة ذهبوا بأموالنا فأهلكوها بأسواق المدينة، ثم انطلقوا فارتقوا إلى جبل يقال له منحلوس، فلما قالوا له ذلك، خلى سبيلهم، وجعل ما يدرى ما يفعل بالفتية، فألقى الله في نفس دقيانوس أن يأمر بالكهف فيسد عليهم.

وأراد الله أن يذكرهم ويجعلهم آية، ويستخلف من بعدهم، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، ويدعوهم كما هم في الكهف يموتون عطشاً وجوعاً، وليكن كهفهم الذي اختاروا قبراً لهم، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم. وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، قد غشيه ما غشيه ذات اليمين وذات الشمال.

ثم إن رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقيانوس، يكتمان إيمانهما، كان اسم أحدهما مندروس، والآخر دوماس، اتئمترا أن يكتبتا أسماء الفتية وأنسابهم وخبرهم، في لوح رصاص يجعلاه في تابوت من نحاس، ثم يجعلا التابوت في البنيان، وقالوا: لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين، قبل يوم القيامة، فيعلم من فتح عليهم خبرهم، حين يقرأ هذا الكتاب. ففعلا ثم بنيا عليهم فبقي دقيانوس ما بقي، ثم مات وقومه وقرون بعد ذلك كثيرة، وخلفاء الملوك بعد الملوك.

وقال عبيد بن عمير: كان أصحاب الكهف فتياناً مطوقين مسورين ذوي ذوائب، وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم، في زي وموكب، وأخرجوا معهم آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، وقد قذف الله في قلوب الفتية الإيمان، وكان أحدهم وزير الملك، فأمنوا وأخفى كل واحد منهم الإيمان عن أخيه، فقالوا في أنفسهم، من غير أن يظهر بعضهم على بعض: نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم، لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة، فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالساً وحده، فرجا أن

يكون على مثل أمره، من غير أن يظهر له ذلك، فجلس إليه ثم خرج الآخرون فجاؤوا وجلسوا إليهما. واجتمعوا، فقال بعضهم لبعض: ما جمعكم؟ وقال آخر: ما حملكم؟ وكل واحد يكتف عن صاحبه إيمانه، مخافة على نفسه، ثم قالوا: ليخرج كل فتين منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منهما لصاحبه أمره، فخرج فتیان منهم، فتوافقا. ثم تكلما، فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه، فأقبلا مستبشرين إلى أصحابهما، فقالا: قد اتفقنا على أمر واحد، فإذا هم جميعاً على أمر واحد، وهو الإيمان، وإذا كهف في الجبل قريب منهم، فقال بعضهم لبعض: فأووا إلى الكهف، ينشر لكم ربكم من رحمته، ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً، فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم، فناموا ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعاً.

وفقدهم الملك وقومهم فطلبوهم فعلم الله عليهم آثارهم وكهفهم، فلما لم يقدروا عليهم، كتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح من رصاص: فلان وفلان أبناء ملوكنا، فقدناهم في شهر كذا من سنة كذا في مملكة فلان، ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا: ليكون لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن من بعد قرن.

وقال وهب بن منبه: جاء حواري عيسى ابن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلها، فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها إلا سجد له، ففكره أن يدخلها وأتى حماماً قريباً من تلك المدينة، فكان فيه وكان يؤاجر نفسه من الحمامي في حمامه، ويعمل فيه ورأى الحمامي في حمامه البركة، ودر عليه الرزق، فجعل يقوم عليه وعلقه فتية من أهل المدينة، فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض، وخبر الآخرة، حتى آمنوا بالله وصدقوه. وكانوا على مثل حاله من حسن الهيئة، وكان شرط على صاحب الحمام، أن الليل لا يحول بيني وبينه أحد، ولا بين الصلاة، وكان على ذلك، حتى أتى ابن الملك بامرأة، فدخل بها الحمام، فغيره الحمامي، وقال له: أنت ابن الملك وتدخل مع هذه! فاستحيا وذهب، ثم رجع مرة أخرى، فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره، ولم يلتفت إليه حتى دخلاه جميعاً فماتا معاً في الحمام.

فأتى الملك، فقيل له: صاحب الحمام قتل ابنك، فالتمس فلم يقدر عليه وهرب. فقال: من كان يصحبه؟ فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة، فمروا على صاحب لهم في زرع، وهو على مثل إيمانهم، فذكروا له أنهم التمسوا، فانطلق معهم، وكان معه كلب، حتى آواهم الليل إلى كهف، فقالوا: نبئت هاهنا الليلة

ثم نصبح، فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم، فخرج الملك في أصحابه يطلبهم، فتبعوهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف، فكلما أراد الرجل منهم دخوله، أربع فلم يطق أحد منهم أن يدخله، فقال قائل من أصحاب الملك: أليس لو كنت تقدر عليهم قتلتهم. قال: بلى. قال: فابن عليهم باب الكهف، واتركهم فيه يموتون جوعاً وعطشاً، ففعل ذلك.

قال وهب: فمكثوا بعد ما سد عليهم باب هذا الكهف، زماناً بعد زمان، ثم إن راعياً أدركه المطر عند باب الكهف، فقال في نفسه: لو فتحت باب هذا الكهف، وأدخلت فيه غنمي من المطر، فلم يزل يعالجه حتى فتحه، ورد الله عليهم أرواحهم من الغد، حين أصبحوا.

قال محمد بن إسحاق: ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح، يقال له تاودوسيوس، فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وثمانين سنة، فتحزب الناس في ملكه، وكانوا أحزاباً، فمنهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق، ومنهم من يكذب بها، فكبر ذلك على الملك الصالح، وشكا إلى الله وتضرع إليه، وحزن حزناً شديداً، لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق، ويقولون: لا حياة إلا الحياة الدنيا، وإنما تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد، فأما الجسد فتأكله الأرض، ونسوا ما في الكتاب.

فجعل تاودوسيوس يرسل إلى كل من يظن فيه خيراً وأنه معه على الحق، فجعلوا يكذبون بالساعة، حتى كادوا يحولون الناس عن الحق وملة الحواريين، فلما رأى ذلك الملك الصالح تاودوسيوس، دخل بيته وأغلقه عليه ولبس مسحاً، وجعل تحته رماداً ثم جلس عليه، فدأب ليلاً ونهاراً يتضرع إلى الله ويبكي مما يرى فيه الناس، ويقول: أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء، فابعث إليهم من يبين لهم.

ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد، أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف، ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية تبين لهم، وحجة عليهم، ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يستجيب لعبده الصالح تاودوسيوس، وأن يتم نعمته عليه، وأن لا ينزع عنه ملكه ولا الإيمان الذي أعطاه، وأن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، وأن يجمع من كان ببلده من المؤمنين، فألقى الله ﷻ في نفس رجل من أهل ذلك الجبل، الذي به أهل الكهف أن يبني فيه حظيرة لغنمه، فاستأجر عاملين، فجعلوا ينزعان تلك الأحجار، ويبنيان بها تلك الحظيرة، حتى

فرغ ما على فم الكهف، وفتح عليهم باب الكهف، وحجبهم الله عن الناس بالرعب، فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم، من يدخل من باب الكهف، ثم يتقدم حتى يرى كلبهم دونهم، إلى باب الكهف قائماً، فلما نزع الحجارة، وفتح عليهم باب الكهف، أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان، محي الموتى، أن يجلسوا بين ظهراني الكهف، فجلسوا فرحين مستبشرة وجوههم، طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض، حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون فيها، إذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون فيها، ثم قاموا إلى الصلاة، فصلوا كالذي كانوا يفعلون، لا يرى في وجوههم، ولا في أبشارهم، ولا في ألوانهم شيء يكرهونه، إنما هم كهيئتهم حين رقدوا، وهم يرون أن ملكهم دقيانوس الجبار في طلبهم.

فلما قضاوا صلاتهم، قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم: اثنتا يا أخي بالذي قال الناس في شأننا، عشية أمس عند الجبار، وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون أمس، وقد خيل إليهم أنهم ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا فيها، حتى تساءلوا بينهم، فقال بعضهم لبعض " كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ريبكم أعلم بما لبثتم " وكل ذلك في أنفسهم يسير، فقال لهم تمليخا: افتقدتم والتمستم بالمدينة، وهو يريد أن يأتي بكم اليوم، فتذبحون للطواغيت، أو يقتلكم، فما شاء الله بعد ذلك فعل. فقال لهم مكسلمينا: يا أخوتاه، اعلموا أنكم ملاقو الله، فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم غداً. ثم قال لتمليخا: انطلق إلى المدينة، فتسمع ما يقال لنا بها اليوم، وما الذي نذكر به عند دقيانوس، وتلطف ولا تشعرن بنا أحداً، وابتغ لنا طعاماً واثنتا به، فإنه قد نالنا الجوع وزدنا على الطعام الذي تجيئنا به العادة، فإنه كان قليلاً وقد أصبحنا جوعاً.

ففعل تمليخا كما كان يفعل، وخرج ووضع ثيابه، وأخذ الثياب التي كان يتكرر فيها، وأخذ ورقاً من نفقتهم، التي كانت معهم، التي ضربت بطابع دقيانوس، وكانت كخفاف الريح، فانطلق تمليخا خارجاً، فلما مر بياب الكهف، رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف، فعجب منها، ثم مر فلم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفياً، يصد عن الطريق تخوفاً من أن يراه أحد من أهلها، فيعرفه فيذهب به إلى دقيانوس الجبار، ولم يشعر بالعبء الصالح، وأن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة.

فلما رأى تملیخا باب المدينة، رفع رأسه فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان، فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفياً، فنظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً ممن يعرفه. ثم ترك ذلك الباب، وتحول إلى باب آخر من أبوابها، فرأى مثل ذلك، فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرفها، ورأى ناساً كثيرين محدثين لم يكن يعرفهم قبل ذلك، فجعل يمشي ويتعجب منهم ومن نفسه، ويخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه، فجعل يتعجب منهم ومن نفسه، ويقول: يا ليت شعري أما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة، ويستخفون بها فأما اليوم فإنها ظاهرة، لعلي حالم! ثم يرى أنه ليس بنائم.

فأخذ كساءه وجعله على رأسه، ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهراني سوقها فيسمع ناساً كثيرين يحلفون بالله، ثم بعيسى ابن مريم فزاده عجباً! ورأى كأنه حيران، فقام مسنداً ظهره إلى جدار من جدران المدينة، ويقول في نفسه: والله ما أدري ما هذا؟ أما عشية أمس فليس على وجه الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قتل، وأما الغداة فأسمع كل إنسان يذكر أمر عيسى ابن مريم ولا يخاف. ثم قال في نفسه: لعل هذه المدينة ليست التي أعرفها، أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحداً منهم. والله ما أعلم مدينة أقرب من مدينتنا، ثم قام كالحيران لا يتوجه وجهاً، ثم لقي فتى من أهل المدينة، فقال: يا فتى ما اسم هذه المدينة؟ فقال: افسوس. فقال في نفسه: لعل بي مسأ أو أمراً أذهب عقلي، والله يحق لي أن أسرع إلى الخروج منها، قبل أن أخرج منها ويصيبني سوء فأهلك.

هذا الذي حدث به تملیخا أصحابه حين تبين له حالهم. ثم إنه أفاق فقال: والله لو عجلت الخروج من المدينة، قبل أن يفطن بي لكان أكيس بي، فدنا من الذين يبيعون الطعام، فأخرج الورق التي كانت معه، فأعطاهم رجلاً منهم فقال: يا عبد الله بعني بهذه الورق طعاماً، فأخذها الرجل، ونظر إلى ضرب الورق ونقشها، وعجب منها ثم طرحها إلى رجل من أصحابه، فنظر إليها، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم، من رجل إلى رجل، وهم يعجبون منها، ثم جعلوا يتشاورون من أجله، ويقول بعضهم: إن هذا الرجل قد أصاب كنزاً خبيئاً في الأرض منذ زمان ودهر طويل، فلما رأهم يتشاورون من أجله فرق فرقاً شديداً، وحزن حزناً عظيماً، وجعل يرتعد ويظن أنهم فطنوا به وعرفوه، وإنما يريدون أن يحملوه إلى ملكهم دقيانوس، وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه، فقال لهم، وهو شديد

الفرق: اقضوني حاجتي، فقد أخذتم ورقتي، وإلا فامسكوا طعامك فلا حاجة لي فيه.

فقالوا له: من أنت يا فتى وما شأنك؟ والله لقد وجدت كنزاً من كنوز الأولين وأنت تريد أن تخفيه منا، فانطلق معنا وشاركنا فيه، يخف عليك ما وجدت، فإنك إن لم تفعل نأت بك السلطان فنسلمك إليه فيقتلك، فلما سمع قولهم، عجب في نفسه وقال: قد وقعت في كل شيء أحذر منه، ثم قالوا: يا فتى والله إنك لا تستطيع أن تكتم شيئاً وجدته، ولا تظن في نفسك أن ستخفي عليك. فجعل تملیخا لا يدري ما يقول، وما يرجع إليهم وفرق حتى ما يحير إليهم جواباً.

فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطوقوه في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مكبلاً، حتى سمع به كل من فيها. فقيل: أخذ رجل عنده كنز، واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم، فجعلوا ينظرون إليه ويقولون: والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة، وما رأيناه فيها قط وما نعرفه، فجعل تملیخا ما يدري ما يقول لهم، مع ما سمع منهم. فلما اجتمع عليه أهل المدينة، فرق وسكت ولم يتكلم، ولو قال إنه من أهل المدينة لم يصدق. وكان مستيقناً إن أباه وأخوته بالمدينة، وأن حسبه في أهل المدينة، من عظماء أهلها، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا، وقد استيقن أنه عشية أمس، كان يعرف كثيراً من أهلها، وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحد.

فبينما هو قائم كالحيوان ينتظر من يأتيه من أهله إما أبوه أو بعض أخوته، فيخلصه من أيديهم، إذ اختطفوه فانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها، وهما رجلان صالحان، اسم أحدهما أرموس والآخر اصطفوس، فلما انطلق به إليهما، ظن تملیخا إنما ينطلق به إلى دقيانوس الجبار ملكهم الذي هربوا منه. فجعل يلتفت يميناً وشمالاً، وجعل الناس يسخرون به، كما يسخرون من المجنون والحيوان، وجعل تملیخا يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إله السماء وإله الأرض، أفرغ علي اليوم صبراً، وأولج معي روحاً منك، تؤيدني به عند هذا الجبار، وجعل تملیخا يبكي ويقول في نفسه: فرق بيني وبين أخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت، وأين يذهب به فلو أنهم يعلمون فيأتوني، فنقوم جميعاً بين يدي هذا الجبار، فإننا كنا توافقتنا لنكونن معاً لا نكفر بالله ولا نشرك به شيئاً، ولا نعبد الطواغيت من دون الله ﷻ، فرق بيني

وبينهم فلم أرهم ولم يروني، وقد كنا توافقنا أن لا نفرق في حياة ولا موت أبداً، يا ليت شعري ما هو فاعل بي أقاتلي أم لا؟

هذا ما حدث به تملیخا أصحابه عن نفسه حين رجع إليهم، ثم انتهى به إلى الرجلين الصالحين أرموس واصطفوس، فلما رأى تملیخا أنه لم يذهب به إلى دقيانوس أفاق وسكن عنه البكاء، فأخذ أرموس واصطفوس الورق فنظرا إليها وعجبا منها، ثم قال له أحدهما: أين الكنز الذي وجدته يا فتى؟ فهذا الورق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزاً! فقال له تملیخا: ما وجدت كنزاً، ولكن هذا الورق ورق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها. ولكني والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم! فقال أحدهما: من أنت؟ فقال له تملیخا: أما ما أرى، فإني كنت أرى أني من أهل هذه المدينة. فقالوا له: من أبوك ومن يعرفك بها؟ فأنبأهم باسم أبيه، فلم يجدوا أحداً يعرفه ولا أباه. فقال له أحدهما: أنت رجل كذاب لا تخبر بالحق، فلم يدر تملیخا ما يقول لهم، غير أنه نكس رأسه إلى الأرض، فقال بعض من حوله: هذا الرجل مجنون، وقال بعضهم: ليس بمجنون ولكنه يحدق نفسه عمداً، لكي يفلت منكم. فقال له أحدهما ونظر إليه نظراً شديداً: أتظن أنا نرسلك ونصدقك هذا مال أبيك، ونقش هذا الورق وضربها، أكثر من ثلاثمائة سنة؟ وأنت غلام شاب تظن أنك تأفكنا وتسخر بنا، ونحن شمط كما ترى، وحولك سراة أهل المدينة، وولاية أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار. وإني لأظنني سأمر بك فتضرب وتعذب عذاباً شديداً، ثم أوثقك حتى تقر بهذا الكنز الذي وجدت.

فلما قال له ذلك، قال له تملیخا: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه، فإن فعلتم صدقتكم ما عندي؟ قالوا: سل لا نكتمك شيئاً. قال: فما فعل الملك دقيانوس؟ فقالوا له: ليس نعرف اليوم على وجه الأرض ملكاً يسمى دقيانوس، ولم يكن إلا ملكاً قد هلك منذ زمان ودهر طويل، وقد هلكت بعده قرون كثيرة.

فقال لهم تملیخا: فوالله ما يصدقني أحد من الناس بما أقول: لقد كنا فتية الملك، وأنه أكرهنا على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فهربنا منه عشية أمس، فتمنا، فلما انتبهنا خرجت لأشتري لأصحابي طعاماً وأتجسس لهم الأخبار، فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهف الذي في جبل منحلوس، أريكم أصحابي، فلما سمع أرموس واصطفوس ما يقول تملیخا، قالوا: يا قوم لعل هذه آية من آيات الله ﷻ، جعلها الله لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه

يرينا أصحابه كما قال. فانطلق معه أرموس واصطفوس، وانطلق معهما أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم.

ولما رأى الفتية أصحاب الكهف، تملixa قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم، عن القدر الذي كان يأتيهم فيه، ظنوا أنه قد أخذ وذهب إلى ملكهم دقيانوس، الذي هربوا منه. فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه إذا سمعوا الأصوات، وجلبة الخيل مصعدة نحوهم، فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس، بعث إليهم ليؤتى بهم، فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض، وقالوا: انطلقوا بنا إلى أخيننا تملixa، فإنه الآن بين يدي الجبار دقيانوس، ينتظر متى نأتيه. فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراي الكهف فلم يروا إلا أرموس وأصحابه، وقوماً وقوفاً على باب الكهف، وقد سبقهم تملixa فدخل عليهم وهو يبكي، فلما رأوه يبكي بكوا معه، ثم سألوه عن شأنه فأخبرهم بخبره وقص عليهم المسألة فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بإذن الله تعالى ذلك الزمان كله، وإنما أوقفوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها.

ثم دخل على أثر تملixa أرموس، فرأى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم من فضة، فقام بباب الكهف ودعا رجالاً من عظماء أهل المدينة، ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لو حين من رصاص، مكتوباً فيهما: إن مكسلينا واملixa أو تملixa مرطوكش ونوالس وسانيوس وبطنيوس وكشفوظط كانوا فتية، هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار، مخافة أن يفترهم عن دينهم، فدخلوا في هذا الكهف، فلما أخبر بمكانهم أمر بهذا الكهف فسد عليهم بالحجارة، وأنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم إن عثر عليهم.

فلما قرؤوه عجبوا وحمدوا الله ﷻ، الذي أراهم آية البعث فيهم. ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوساً بين ظهرايهم ووجوههم مشرقة لم تبل ثيابهم. فخر أرموس وأصحابه سجداً لله تعالى وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته، ثم كلم بعضهم بعضاً وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس الجبار. ثم إن أرموس وأصحابه بعثوا بريداً إلى ملكهم الصالح تاودوسيوس، أن عجل لعلك تنظر إلى آية في آيات الله تعالى، جعلها الله آية على ملكك وجعلها آية للعالمين ليكون ذلك نوراً وضياءاً وتصديقاً

بالبعث، فاعجل على فتية بعثهم الله وكان قد توفاهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة.

فلما أتى الملك الخبر قام من السدة التي كان عليها ورجع إليه عقله، وذهب عنه همه، ورجع إلى الله تعالى، وقال: أحمد الله رب العالمين رب السموات والأرض، وأعبدك وأسبح لك تطولت علي ورحمتني برحمتك، فلم تطفئ النور الذي كنت جعلته لأبائي وللعبد الصالح قسطنطينوس الملك، فلما أنبئ به أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف وأتوه، فلما رأوا الفتية تاودوسيوس، فرحوا به وخرروا سجداً على وجوههم. وقام تاودوسيوس قدامهم، ثم اعتنقهم وبكى، وهم جلوس بين يديه على الأرض، يسبحون الله تعالى ويحمدونه، ثم قال الفتية لتاودوسيوس: نستودعك الله، ونقرأ عليك السلام، حفظك الله ومد ملكك، ونعيفك بالله من شر الجن والإنس. فبينما الملك قائم، رجعوا إلى مضاجعهم فناموا، وتوفى الله أرواحهم.

وقام الملك فجعل ثيابه عليهم، وأمر أن يجعل لكل واحد تابوت من ذهب. فلما أمسوا ونام، أتوه في المنام، وقالوا: إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة، ولكننا خلقنا من التراب وإلى التراب نصير. فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب، حتى يبعثنا الله، فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج، فجعلوا فيه. وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب، فلم يقدر أحد أن يطلع عليهم، وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلى فيه. وجعل لهم عيداً عظيماً، وأمر أن يؤتى كل سنة.

وقيل: إنهم لما أتوا باب الكهف، قال لهم تلميخا: دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشروهم، فإنهم إن رأوكم معي أرحبتموهم، فدخل فبشروهم، وقبض الله روحه وأرواحهم، وعمي عليهم فلم يهتدوا إليهم. فهذا حديث أصحاب الكهف.

ويقال إن النبي ﷺ سأل ربه أن يريه إياهم، فقال تعالى: إنك لن تراهم في دار الدنيا، ولكن ابعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك. فقال رسول الله ﷺ لجبريل: كيف أبعث إليهم؟ فقال: ابسط كساءك، واجلس على طرف من أطرافه أبا بكر، وعلى الثاني عمر، وعلى الثالث علياً، وعلى الرابع أبا ذر، ثم ادع الرخاء المسخرة لسليمان بن داود عليهما السلام، فإن الله تعالى أمرها أن تطعيك. ففعل النبي ﷺ ما أمر به، فحملتهم

الريح حتى انطلقت بهم إلى باب الكهف، فلما دنوا من الباب قلعوا منه حجراً، فقام الكلب فنبح عليهم حين أبصر الضوء، وهو حمل عليهم، فلما رأهم حرك رأسه وبصيص بذنبه، وأوماً برأسه أن ادخلوا الكهف، فدخلوا فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد الله عليهم أرواحهم، فقاموا بأجمعهم، وقالوا: وعليكم السلام وعلى محمد رسول الله ﷺ ما دامت السموات والأرض، وعليكم بما بلغت ثم جلسوا بأجمعهم يتحدثون، فأمنوا بمحمد ﷺ وقبلوا دين الإسلام. وقالوا: اقرؤوا محمداً منا السلام، ثم أخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم، إلى آخر الزمان، عند خروج المهدي. ويقال إن المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون إلى يوم القيامة.

وقد رأيت في كتاب الشفاء، للإمام أبي الربيع سليمان بن سبع، ما نصه: روي أن عيسى عليه السلام يعمر بعد الدجال ويأجوج ومأجوج أربعين سنة، ويكون حواريوه أصحاب الكهف والرقيم ويحجون معه، لأنهم لم يحجوا. انتهى ما نقله ابن سبع.

ثم نرجع إلى سياق الثعلبي، قال: ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح، فهبط جبريل على النبي ﷺ وأخبره بما كان منهم. فلما أتوا النبي ﷺ قال ﷺ: كيف وجدتموهم وما الذي أجابوا؟ فقالوا: يا رسول الله دخلنا عليهم فسلمنا عليهم، فقاموا بأجمعهم فردوا علينا السلام، وبلغناهم رسالتك فأجابوا وأجابوا، وشهدوا أنك رسول الله حقاً، وحمدوا الله على ما أكرمهم بخروجك وتوجيه رسلك إليهم. وهم يقرؤونك السلام. فقال رسول الله ﷺ: اللهم لا تفرق بيني وبين أصهاري وأحبابي، واغفر لمن أحبني، وأحب أهل بيتي وأحب أصحابي. فذلك قوله تعالى " إذ أوى الفتية إلى الكهف " أي صار يضم الفتية. قال الثعلبي: كان أصحاب الكهف صيارفة.

قوله ﷺ " إلى الكهف " هو غار بجبل منحلوس. وقيل: بناحيوس واسم الكهف حرم، وقيل خدم. قوله تعالى: ﴿...فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (الكهف:10) أي يسر لنا ما نلتمس من رضاك، وقال ابن عباس عليه السلام: رشداً أي مخرجاً من الغار في سلامة، وقيل: صواباً.

قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ...﴾ (الكهف:11)، وهذا من فصاحات القرآن، التي أقرت العرب القصور عن الإتيان بمثله. ومعناه أنمناهم

وألقينا وسلطنا عليهم النوم. كما يقال ضرب الله فلاناً بالفالج، أي ابتلاه به وأرسله عليه. وقيل: معناه حجبناهم عن السمع، وسددنا نفوذ الصوت إلى مسامعهم. وهذا وصف الأموات والنيام. وقال قطرب: هو كقول العرب ضرب الأمير على يد الرعية، إذا منعهم من العبث والفساد، وضرب السيد على يد عبده المأذون له في التجارة، إذا منعه من التصرف. وقال الأسود بن يعفر، وكان ضريراً، في ذلك: ومن الحوادث لا أبالي أنني ضربت على الأرض بالأسداد قوله ﷺ: ﴿...سِنِينَ عَدَدًا﴾ أي معدودة وهي نعت السنين، والعد المصدر والعدد الاسم المعدود كالنقض والنقض، والقص والقصص، والخبط والخبط.

وقال أبو عبيدة: هو نصب على المصدر.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ...﴾ (الكهف: 12) يعني من بعد موتهم، ﴿...لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ وذلك حين تنازع المسلمون الأولون أصحاب الملك، والمسلمون الآخرون الذين أسلموا حين رأوا أصحاب الكهف، في قدر مدة لبثهم في الكهف. فقال المسلمون الأولون: لبثوا في الكهف ثلاثمائة سنين وتسع سنين، وقال المسلمون الآخرون: بل لبثوا كذا وكذا. فقال الأولون: الله أعلم بما لبثوا.

فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ...﴾ أي: أي الفريقين أحصى، أي أضبط وأحفظ، لما لبثوا، أي مكثوا في كهفهم نياماً أمداً، غاية. وقال مجاهد: عدداً. وفي نصبه وجهان: أحدهما على التفسير والثاني مفعول لبثوا.

قوله ﷺ: ﴿لَحْنٌ نَقُصُّ عَلَيْكَ...﴾ (الكهف: 13) أي نقرأ وننزل عليك: ﴿...نَبَأُهُم بِالْحَقِّ...﴾، أي خبر أصحاب الكهف. ﴿...إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ...﴾ أي شباب وأحداث ﴿...آمَنُوا بِرَبِّهِمْ...﴾، حكم الله لهم بالفتوة، حين آمنوا بلا واسطة. لذلك قال أهل اللسان: رأس الفتوة الإيمان.

وقال الجنيد: الفتوة بذل الندي، وكف الأذى، وترك الشكوى. وقيل: الفتوة شيئان: اجتناب المحارم واستعمال المكارم. وقيل: الفتى من لا يدعي قبل الفعل، ولا يذكر نفسه بعد الفعل. وقيل: ليس الفتى من يصبر على السياط، إنما الفتى

من يجوز على الصراط، وليس الفتى من يصبر على المسكين إنما الفتى من يطعم المسكين. قوله تعالى: ﴿...وَزِدْنَهُمْ هُدًى ۝﴾ أي إيماناً وبصيرة وإيقاناً. ﴿وَرَبَطْنَا... ۝﴾ (الكهف:14) أي شددنا ﴿...عَلَى قُلُوبِهِمْ... ۝﴾ بالصبر، وألمناهم ذلك وقويناهم بنور الإيمان حين صبروا على هجران دار قومهم، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش، وفروا بدينهم إلى الكهف ﴿...إِذْ قَامُوا... ۝﴾ بين يدي دقيانوس ﴿...فَقَالُوا... ۝﴾ حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم: ﴿...رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا... ۝﴾، أي لا نعبد من دونه إلهاً، ﴿...لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ۝﴾، قال ابن عباس ومقاتل ؎: جوراً. وقال قتادة، رحمه الله تعالى: كذباً.

وأصل الشطط والإشطاط مجاوزة القدر والإفراط. ﴿هَتُؤَلَاءِ قَوْمًا... ۝﴾ (الكهف:15) : بمعنى أهل بلدهم، ﴿...إِلَهَةٌ... ۝﴾ أي عبدوا ﴿...مِنْ دُونِهِ إِلَهَةٌ... ۝﴾ يعني من دون الله الأصنام يعبدونها. ﴿...لَوْلَا... ۝﴾ هلا ﴿...يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ... ۝﴾ على عبادتهم ﴿...بِسُلْطَنِ بَيْنٍ... ۝﴾، أي حجة واضحة ﴿...فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝﴾، بزعم أن له شريكاً وولداً. ثم قال بعضهم لبعض: ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ... ۝﴾ (الكهف:16)، يعني قومهم ﴿...وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ... ۝﴾، أي واعتزلتم أصنامهم التي يعبدونها من دون الله. وكذلك هو في مصحف عبد الله: وما يعبدون من دون الله.

﴿...فَأَوَدَّا إِلَى الْكَهْفِ... ۝﴾ ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا: أي رزقاً رغداً. والمرفق ما يرتفق به الإنسان. وفيه لغتان مرفق بفتح الميم وكسر الفاء، وهي قراءة أهل المدينة والشام وعاصم في بعض الروايات. ومرفق بكسر الميم وفتح الفاء وهي قراءة الباقيين. قوله تعالى: ﴿...وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ... ۝﴾ (الكهف:17) أي وترى يا محمد الشمس ﴿...إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ... ۝﴾ أي تتزاور. قرأ أهل الكوفة بالتخفيف على حذف إحدى التاءين، وقرأ أهل الشام ويعقوب: تزور، على وزن تحمر وكلها بمعنى واحد أي

تميل وتعدل عن كهفهم، ﴿...ذَاتِ الْيَمِينِ...﴾ أي جانب اليمين. ﴿...غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ...﴾. قال ابن عباس ؓ: تدعهم. وقال مقاتل بن حيان: تجاوزهم. وأصل القرض القطع ﴿...ذَاتِ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ...﴾. أي متسع من الكهف. وجمعها فجوات وأفجاء وفجاء.

أخبرنا الله بحفظه إياهم في مضجعهم، واختياره لهم أصلح المواضع للرقاد، فأعلمنا أنه يراهم في فضاء من الكهف، مستقبلاً بنات نعش، تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة وجارية، فلا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرهما، وتغير من ألوانهم وتبلي ثيابهم، وأنهم في متسع منه ينالهم فيه برد الريح ونسميها، وتتفي عنهم كربة الغار وغمومه، ﴿...ذَلِكَ...﴾ ما ذكرنا من أمر الفتية ﴿...مِنْ آيَاتِ...﴾، أي من عجائب صنع الله ودلالات قدرته.

قوله ﷻ: ﴿...مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ لأن التوفيق والخذلان بيد الله ﷻ، ﴿وَتَحَسَّبُ...﴾ (الكهف: 18) يا محمد ﴿...أَيَقَاطَا...﴾ منتبهين جمع يقظ ويقظ، مثل قولك رجل نجد ونجد للشجاع وجمعه أنجاد، ﴿...وَهُمْ رُقُودٌ...﴾ يعني نيام، جمع راقد، مثل قاعد وقعود. ﴿...وَنُقَلِّبُهُمْ...﴾ بالتخفيف والتشديد، ﴿...ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ...﴾، مرة للجانب الأيمن ومرة للجانب الأيسر.

قال ابن عباس ؓ: كانوا يقلبون في السنة مرة، من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم، ويقال: إن يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم، وقال أبو هريرة: كان لهم في السنة تقلبتان ﴿...وَكَلْبُهُمْ...﴾، قال ابن عباس ؓ: كان أحمر. وقال مقاتل: كان أصفر. وقال القرطبي: من شدة صفوته يضرب إلى الحمرة. وقال الكلبي: لونه كالخلنج. وقيل: لون الحجر، وقيل: لون السماء. وقال علي بن أبي طالب ؓ: كان اسمه ريان. وقال ابن عباس ؓ: قطمير. وقال الأوزاعي: مشير. وقال سعيد الحماد: حران. وقال عبد الله ابن كثير: إن اسم كلبهم قطمور. وقال السدي. اسمه تون. وقال عبد الله ابن سلام: بسيط.

وقال كعب: صيهان. وقال وهب: اسمه نقياً. وقيل: قطفير. وقيل: قطيفير. وقال عروة: مما أخذ على العقرب، أن لا يضرب بأحد في ليل ولا نهار، قال: ﴿سَلَّمْ عَلَيَّ نُوحٍ...﴾ (الصافات: 79) قال: ومما أخذ على الكلب أن لا يضرب بأحد، ممن حمل عليه، إذ قال: ﴿...وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ...﴾ وقرأ جعفر الصادق: وكالبهم، يعني صاحب الكلب باسط ذراعيه بالوصيد. وقال مجاهد والضحاك: الوصيد فناء الكهف، وهي رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. وقال سعيد بن جبير: الوصيد الصعيد، وهو التراب وهي رواية عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه. وقال السير: الوصيد الباب، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس وأنشد قول الشاعر:

بأرض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروف في بها غير منكر
أي بابها.

وقال عطاء: الوصيد عتبة الباب. وقال العتبي: الوصيد البناء، وأصله من قول العرب أصدت الباب وأوصدته، إذا أغلقتة وأطبقتة. قوله تعالى: ﴿...لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ...﴾ (الأنعام: 118) يا محمد ﴿...لَوْلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا...﴾ (الأنعام: 118) لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة، حتى لا يصل إليهم واصل، ولا تلمسهم يد لأمس حتى يبلغ الكتاب أجله، فيوقفهم الله تعالى من رقدتهم، لإرادة الله تعالى أن يجعلهم آية وعبرة لمن يشاء من خلقه، ليعلموا أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها ﴿...وَكُلَّمَلَّتْ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ (الأنعام: 118) أي خوفاً. وقرأ أهل الكوفة: ملئت بالتشديد، قيل: إنما قال ذلك لوحشة المكان الذي هم فيه. وقال الكلبي وغيره: لأن أعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم، وهم نيام. وقيل: إن الله منعهم بالرعب، لئلا يراهم أحد.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه، أنه غزا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم، فمروا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، الذين ذكرهم الله في القرآن فقال معاوية: لو كشفت لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم؟ فقال له ابن عباس رضي الله عنه: ليس لك ذلك، قد منع الله ذلك من هو خير منك. قال الله تعالى: ﴿...لَوْ

أَطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلِيَّتٌ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئَتْ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم، فبعث ناساً، فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف، فانظروا ففعلوا. فلما دخلوا الكهف، بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم.

قوله ﷺ " وكذلك بعثناهم، يعني كما أنمناهم في الكهف، ومنعنا من الوصول إليهم، وحفظنا أجسامهم من البلى على طول الزمان، وثيابهم من العفن على ممر الأيام بقدرتنا، فكذلك بعثناهم من النوم التي تشبه الموت، ﴿...لَيْتَسَاءَ لَوْ أَبَيَّنَهُمْ...﴾ (الكهف:19) أي ليتحدثوا ويسأل بعضهم بعضاً، ﴿...قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ...﴾ يعني رئيسهم مكسلينا: ﴿...كَمْ لَبِئْتُمْ...﴾ في نومكم؟ وذلك أنهم استكروا من أنفسهم طول نومهم. ويقال: إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة! فقال ذلك. ﴿...قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ...﴾، لأنهم دخلوا الكهف غدوة، فلما رأوا الشمس، قالوا: أو بعض يوم، توكياً من الكذب. وكان قد بقيت من الشمس بقية.

ويقال كان بعد زوال الشمس، فلما نظروا إلى أظفارهم وأبشارهم، تيقنوا أن لبثهم كان أكثر من يوم، ف﴿...قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ...﴾ ويقال: إن رئيسهم لما سمع الاختلاف بينهم، قال ذلك: ﴿...فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ...﴾، يعني تملیخا، ﴿...بِوَرْقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ...﴾، والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة، والدليل عليه أن عرفجة ابن سعد أصيب أنفه يوم الكلاب، فاتخذ أنفاً من ورق وفيه لغات: بورقكم ساكنة الراء. وهي قراءة أبي عمرو وحمزة وخلف وأبي بكر. وبورقكم بكسر الراء وادغام القاف، وهي قراءة بعض، وبورقكم بفتح الواو وكسرا الراء، وهي قراءة أكثر القراء.

ورق وورق مثل كبد وكبد وكلم وكلم، والمدنية أفسوس، وقيل: طرسوس، ويقال: أرسوس كان اسمها في الجاهلية أفسوس، فلما جاء الإسلام سموها طرسوس. فلينظر أيها أزكى طعاماً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبیر رضي الله عنه: أحل ذبيحة لأن عامتهم كانوا مجوساً، ومنهم قوم مؤمنون يخفون إيمانهم. وقال الضحاک: أطيّب. وقال مقاتل

وابن حيان: أجود، وقال ابن شهاب: أرخص. وقال قتادة: أخير. وقال عكرمة: أفضل، وأكثر. وأصل الزكاة: الزيادة والنماء. قال الشاعر:

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة كذا السغ أزكى من ثلاث وأطيب

﴿...فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ...﴾ أي قوت وطعام، ﴿...وَلْيَتَلَطَّفْ...﴾ أي

وليرفق في الشراء، وفي طريقه وفي دخوله المدينة، ﴿...وَلَا يُشْعِرَنَّ...﴾ ولا

يعلمن ﴿...بِكُمْ أَحَدًا﴾ من الناس ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ...﴾

﴿٢٠﴾ قال ابن جريج: يشتموكم ويؤذوكم بالقول. ويقال: يقتلوكم ويقال: كان من عاداتهم القتل بالرجم، وهو من أخبث القتل. ويقال: يضربوكم أو يعيدوكم في ملتهم أي دينهم الكفر، ولن تفلحوا إذا بدأ إن عدتم إليهم.

قوله ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَلَيْهِمْ...﴾ (كهف: 21) أي اطلعنا عليهم،

يقال: عثرت على الشيء: اطلعت عليه، وأعثرت غيري وأطلعته عليه ﴿...لِيَعْلَمُوا

أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا...﴾ يعني قوم تاودوسيوس، ﴿...وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ

فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ...﴾ قال ابن عباس ﷺ: يتنازعون في البنيان

والمسجد، فقال المسلمون: نبني عليهم مسجداً، لأنهم على ديننا، وقال المشركون: نبني عليهم بنياناً لأنهم من أهل نسبنا. وقال عكرمة: يتنازعون في الأرواح والأجساد.

فقال المسلمون: البعث للأجساد والأرواح، وقال المشركون: البعث للأرواح دون الأجساد. فبعثهم الله تعالى من رقادهم، وأراهم أن البعث للأجساد والأرواح.

وقيل: يتنازعون في عددهم ﴿...فَقَالُوا أَبْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ...﴾

﴿٢١﴾، ﴿...قَالَ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ...﴾، تاودوسيوس الملك وأصحابه

﴿...لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾.

قوله ﷺ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ...﴾ (الكهف: 22)، وذلك أن

السيد والعاقب وأصحابهما، من نصارى نجران، كانوا عند النبي ﷺ فجرى

ذكر أهل الكهف، فقال السيد: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وكان السيد يعقوبياً، وقال العاقب: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم. فحقق الله قول المسلمين وصدقهم بعدما حكى قول النصارى فقال: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ...﴾ أي قذفاً بالظن من غير يقين كقول الشاعر:

وأجعل قول الحق قولاً

﴿...وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ...﴾ قال بعضهم: هذه واو الثمانية، وذلك أن العرب تقول واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لأن العقد عندهم كان سبعة، كما هو اليوم عندنا عشرة. ونظيره قوله تعالى: ﴿الَّتَنبِيئُونَ أَلْعَبِيدُونَ أَلْحَمِيدُونَ أَلْسَّيْحُونَ أَلرَّكِعُونَ أَلسَّجِدُونَ أَلْأَمْرُونَ أَلْمَعْرُوفِ وَأَلنَّاهُونَ عَنِ أَلْمُنْكَرِ...﴾ (التوبة: 112)، وقوله تعالى لأزواج النبي ﷺ: ﴿...تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَرًا﴾ (التحريم: 5) وقال بعضهم: هذه واو الحكم والتحقيق، فإن الله حكى اختلافهم فتم الكلام عند قوله: ﴿...وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ...﴾ ثم حكى أن ثامنهم كلبهم، الثامن لا يكون إلا بعد السبع. فهذا تحقيق قول المسلمين.

﴿...قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ...﴾ قال مجاهد وقتادة: قليل من الناس، وقال عطاء وقتادة أيضاً: يعني بالقليل أهل الكتاب. وقال ابن عباس، في قوله: ﴿...مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ...﴾ قال: أنا من أولئك القليل، وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وبنينونس وساربنونس ودوانونس وكندسلطنوس، وهو الراعي. والكلب اسمه قطمير كلب أنمر فوق القلطي، ودون الكردي. والقلطي كلب صيني.

قال محمد بن المسيب: وما بقي بنيسابور محدث إلا كتب عني هذا الحديث، إلا من لم يقدر له. وكتبه علي أبو عمرو والجبري زاد الإمام أبو الحسن في روايته فقال: قلت: وصدق ابن المسيب. فقد رأيت في تفسير أبي عمرو الجبري هذا الحديث، مروياً عن ابن المسيب، ثم قال: أعني الإمام أبا الحسن بسنده عن ابن

عباس عليه السلام، قال: إن الله ﷻ عددهم حتى انتهى إلى السبعة، وأنا من القليل الذين يعلمونهم هم سبعة يعني أصحاب الكهف.

العالم الذي صار مثل الكلب:

وهذا هو الموضوع الثاني لذكر الكلب في القرآن الكريم ، لكن على صورة الذم قال الله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ... ﴿١٧٦﴾﴾

(الأعراف الآيتان: 167، 175)، قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما عليهم السلام أجمعين: هو رجل من الكنعانيين الجبارين اسمه بلعم بلعم بن باعوراء، وقيل بلعام بن باعر، وقال عطية عن ابن عباس: أصله من بني إسرائيل ولكنه كان مع الجبارين.

وقال مقاتل: هو من مدينة بلقاء، وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس والسدي وغيرهما أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين، ونزل أرض كنعان من أرض الشام، أتى قوم بلعم وكانوا كفاراً، وكان بلعم عنده اسم الله الأعظم، وكان مجاب الدعوة، فقالوا له: إن موسى رجل حديد، ومعه جنود كثيرة، وإنه قد جاء ليخرجنا من بلادنا، ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج وادع الله أن يردهم عنا.

فقال: ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم، وأنا أعلم من الله ما أعلم؟ وإنني فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي؟ فراجعوه وألحوا عليه، فقال: حتى أوامر ربي وكان لا يدعو بشيء، حتى ينظر ما يؤمر به في المنام، فوامر بالدعاء عليهم، فقبل له في المنام: لا تدع عليهم. فقال لهم: إنني قد أمرت ربي وإنني نهيت. فأهدوا له هدية فقبلها، ثم راجعوه فقال: حتى أوامر ربي فأمره، فلم يجز إليه بشيء. فقال: قد وأمرت فلم يجز إلي بشيء. فقالوا: لو كره ربك أن تدعو عليهم، لنهاك كما نهاك المرة الأولى، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن، وأتانا له متوجهاً إلى جبل يطلع منه على عسكر بني إسرائيل، يقال له حسان، فما سار عليها غير كثير حتى ربضت به فنزل عنها، وضربها حتى إذا أذلقتها الضرب، قامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت، ففعل بها مثل ذلك، فقامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت، فضربها حتى أذلقتها،

فأذن الله تعالى لها بالكلام، فكلمته حجة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب ألا ترى الملائكة أمامي يردوني عن وجهي هذا أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين، تدعو عليهم؟ فلم ينزع فخلى الله سبيلها فانطلقت حتى إذا أشرفت على جبل حسان، جعل يدعو عليهم بالاسم الأعظم الذي كان عنده، فاستجيب له ووقع موسى عليه السلام وبنو إسرائيل في التيه.

فقال موسى: يا رب بأي ذنب أوقعتنا في التيه. قال تعالى: بدعاء بلعام. قال موسى عليه السلام: يا رب فكما سمعت دعاءه علينا فاسمع دعائي عليه. فدعا موسى عليه أن ينزع الله تعالى منه الاسم الأعظم. فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها، فخرجت من صدره كحمامة بيضاء. قاله مقاتل.

وقال ابن عباس والسدي: لما دعا بلعام على موسى وقومه، قلب الله لسانه، فجعل لا يدعو عليهم بشيء من الشر إلا صرف الله به لسانه إلى قومه، ولا يدعو بشيء من الخير، إلا صرف الله به لسانه إلى بني إسرائيل، فقال له قومه: يا بلعم أتدري ما تصنع؟ إنما تدعو لهم وعلينا! فقال: هذا ما أملك، هذا شيء قد غلب الله عليه، فنسي الاسم الأعظم واندلع لسانه على صدره. فقال لهم: قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، فلم يبق إلا المكر والخديعة والحيلة، فسأمكر لكم وأحتال عليهم، جملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى العسكر بيتنها فيه، ومروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنهم إن زنى واحد منهم كفيتموهم. ففعلوا.

فلما أتى النساء العسكر، مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستي بنت صور برجل من عظماء بني إسرائيل، يقال له زمري بن شلوم، رأس سبط شمعون بن يعقوب، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها، ثم أقبل بها حتى وقف على موسى عليه السلام، فقال: إني أظنك ستقول هذا حرام علي! فقال موأي: أجل هي حرام عليك لا تقرينها. قال: فوالله لا أطيعك في هذا، ثم دخل بها قبة، فوقع عليها، فأرسل الله الطاعون على بني إسرائيل في الوقت.

وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى عليه السلام، وكان رجلاً قد أعطي بسطة في الخلق، وقوة في البطش وكان غائباً، حين صنع زمري بن شلوم ما صنع، فجاء الطاعون يجوس بني إسرائيل، فأخبر الخبر فأخذ حربته، وكانت من حديد كلها، ثم دخل عليهما القبة، وهما متضاجعان، فانتظهما

بحريته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، والحربة قد أخذها بذراعه، واعتمد بمرفقه على خاصرته، وأسند الحربة إلى الحية وكان بكر العيزار، فجعل يقول: اللهم هكذا نفع بمن يعصيك، فرفع الطاعون، فحسب من هلك من بني إسرائيل بالطاعون فيما بين أصاب زمري المرأة إلى أن قتلها فتخاص، فوجد قد هلك منهم سبعون ألفاً في ساعة من النهار. فمن هنالك يعطي بنو إسرائيل ولد فتخاص من كل ذبيحة ذبحوها: القبة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة على خاصرته، وأخذها إياها بذراعه وإسناده إياها إلى الحية، والبكر من كل أموالهم وأنفسهم، لأنه كان بكر العيزار. ويقال: إنه لما انتظمهما بالحربة وخرج بهما كانا في الحربة كحالهما في حالة الزنا. فكان ذلك آية.

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب، وزيد ابن أسلم، أن هذه الآية نزلت في أمية بن أبي الصلت، وكان قد قرأ التوراة والإنجيل، وكان يعلم أن الله تعالى يرسل رسولا من العرب، فرجا أن يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به، وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة، وكان قصد بعض الملوك، فلما رجع مر على قتلى بدر، فسأل عنهم من قتلهم؟ فقليل قتلهم محمد صلى الله عليه وسلم. فقال: لو كان نبياً ما قتل أقرباءه. وسيأتي إن شاء الله تعالى له ذكر في الوعل أيضاً.

وقالت فرقة: إنها نزلت في رجل من بني إسرائيل، كان قد أعطي ثلاث دعوات مستجابات، وكانت له امرأة له منها ولد، فقالت: اجعل لي منها دعوة، فقال: لك منها واحدة فما تريدين؟ قالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا لها. فكانت كذلك. فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه، فغضب الزوج، ودعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان، فجاء بنوها وقالوا: ليس لنا على هذا قرار، وقد صارت أمنا كلبة نباحة، والناس يعيروننا بها، ادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليه، فدعا الله لها فعدت كما كانت، فذهبت فيها الدعوات كلها. والقولان الأولان أظهر.

وقال الحسن وابن كيسان: نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم، كما يعرفون أبناءهم. وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله تعالى لكل من عرض عليه الهدى، فأبى أن يقبله. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا...﴾ (الأعراف: 176) أي وفقناه للعمل بها، فكنا نرفع بذلك منزلته في الدنيا والآخرة. ولكنه أخذ إلى الأرض، أي ركن إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها.

قال الزجاج: خلد وأخذ واحد، وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام. يقال: أخذ فلان بالمكان، إذا أقام به. والأرض هنا عبارة عن الدنيا لأن ما فيها من العقار والرباع كلها أرض وسائر متاعها مستخرج من الأرض. واتبع هواه انقاد إلى ما دعاه إليه الهوى، فعوقب في الدنيا بأنه كان يلهث كما يلهث الكلب، فشبه به صورة وهيئة. قال القتيبي: كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب فإنه يلهث في حال التعب وحال الراحة، وفي حال الري وحال العطش، فضربه الله مثلاً لمن كذب بآيات الله. فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال كالكلب، إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث انتهى.

واللهث تنفس بسرعة، وتحرك أعضاء الفم معه، وامتداد اللسان وخلقة الكلب أنه يلهث على كل حال. قال الواحدي وغيره: وهذه الآية من أشد الآي على ذوي العلم، وذلك أن الله تعالى أخبر أنه آناه آياته من اسمه الأعظم، والدعوات المستجابة والعلم والحكمة، فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه، والانسلاخ عنها. ومن الذي يسلم من هاتين الحالتين إلا من عصمه الله تعالى! نسأل الله التوفيق والهداية بمنه وكرمه.